

بيروت — غرة المحرم سنة ١٣٢٧ = الموافق ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٠٩



حمد الله على النعم مدعاة المزيد ، وصلواته على انبيائه واصفيائه وسيلة الحظوة لديه ، والقربى عنده

«وبعد» — فهذه صحيفة طالما كنت احدث النفس وتحدثني في اظهارها الى عالم الوجود ، فكانت العقبات من الدور البائد تعتور هذا المشروع وتمنع من ابرازه ، وهكذا بقي هذا الفكر كامناً في الذاكرة كمون النار في الحجر او الكهرباء في الاجسام ، الى ان أُتيح له ان يظهر بعد الخفاء لزوال ما كان يحول بيننا وبين ابرازه من البرازخ العظيمة

اجل ان الدور الماضي قد باد بما فيه من الاستبداد وبغض الترقي والتقدم ، واراحنا الله من المراقبة والمراقبين ، والجاسوسية والجاسوسيين ، واصبحنا بنعمة الله وفضله احراراً يمكننا ان نعمل كل ما فيه خدمة الوطن والامة والدولة ، ولم يعد لنا عذر في عدم السعي وراء هذه الغاية النبيلة التي تنهض بالوطن الى اسمى درجات الرقي ، فشمرنا

عن ساعد الجد ، وكشفنا عن ساق النشاط ، وخضنا هذا العباب ونحن عالمون بماوراءه من الصعوبات التي تعترض كل مشروع باديء ذي بدأة ، وعارفون ما سينزل بنا من جراء ذلك من الخسائر المادية التي لابد منها في اوائل كل عمل اياً كان

هذا — والله يشهد انا لم نُقدم على هذا العمل الجليل لفائدة مادية نسعى وراءها ، وانما هو الميل الفطري لخدمة العلم والادب والاجتماع يدعونا الى الانخراط في هـذا السلك ونحن من اعلم الناس بان غيره من الاعمال هو اربح فائدة ، واكثر عائده ، وهذا هو ماحدا بي الى اجابة صديقي صاحب جريدة الاتحاد العثماني اليومية أن اكون في جملة محرريها ، ولو اردت التجارة لكان لي منها اوفر نصيب ، بل كنت من المقدمين فيها ، ولكن العلم وحب الآداب وهوى الحكمة ، كل ذلك يربأ بالنفس ان تميل الى غيرها ، وتصبو الى انفس سواها

— اقدمت على انشاء هذه المجلة — *النبراس* — غير مؤمل من وراءها ربحًا ، بل اني وطدت النفس على ان اقتصد من جيبي مالاً عينته ليسدّ مسدّ ماعساه ينقص عن قيم اشتراكاتها ، غير ان لي في همة اهل الغيرة على العلم وارباب الحمية على رفع شأن الادب املاً كبيراً بمدّ يد المساعدة المادية بالاشتراك فيها ، او يد المعونة الادبية بالترغيب والترويج ، فنحن في حاجة عظيمة اليهما لان رجال الدور المنصرم قد اماتوا الشعور والميل الى الآداب والعلوم حتى عُدّ النوابغ فينا بالاصابع ، في حين ان الذكاء فطري فينا ، والاستعداد للمعارف خُلق من اخلاقنا ، فضعفت الرغبة بالمطالعة والبحث بضعف ذلك الشعور ، اما وقد انمحى السبب فلا بدّ ان نعمل على احياء هذا الشعور الذي كان يفقد وانمائه حسب مافينا من القابلية الشديدة ، وذلك لايكون الا بترغيب اهل الفضل وحثهم الناس على قراءة المجلات والجرائد والكتب وان يتفهموها كل على حسب وسعه وطاقته فنكون حينئذ قد خطونا خطوة كبيرة في سبيل التقدم المأمول لنا

الشيخ مصطفى الغلاييني

بيان

صدور المجلة

تصدر في اول كل شهر قمري ، وسنتها عشرة اشهر وتحتجب ما يوافق شهري ناجر من الاشهر العربية ، وشهرا ناجر هما اشد ما يكون من الحر ، فهما تموز وآب

ارسال المجلة

لا ترسل المجلة الا لطالبها عملاً بقواعد الحرية الصحيحة فمن كان له رغبة بالاشتراك فيها فيمكنه ان يخابر صاحبها بالعنوان المذكور في غلاف المجلة ، وربما يخطِّئ رأينا احد في عدم ارسالها لكل من نتوسم فيهِ حب العلم والادب لان ذلك ادعى لرواجها

نعم ذلك حق ولكننا نعلم ان طائفة من الناس تُرسل اليهم المجلة او الجريدة فيقبلونها حياءً ، فنحن فراراً من ان يقبلها احد حياء « ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام » عدلنا عن هذه الطريقة ، فمن احب ان يكون مشتركاً فترسل اليهِ المجلة فان وجدها توافق ذوقه ومشربه ابقاها عنده وكتب الينا بذلك ، والا فيردها ونحن له من الشاكرين

مباحث المجلة

اما مباحث المجلة فستكون في الاجتماع وشؤُون العمران والعلم والادب وما يهمّ من التاريخ والسياسة ، وسيكون فيها باب خاص في انتقاد الاخلاق والعادات الضارة التي انهكت جسم المجتمع ، غير ناظرين الى انتقاد الافراد اللهم الا ما كان من باب التلميح ، دون التصريح · وقد افردنا لهذا القسم في هذه السنة رواية مهمة في

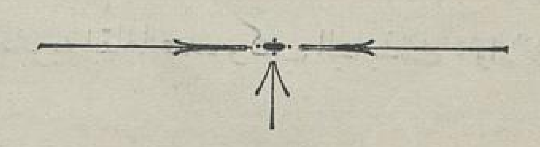
بيان العلل الاخلاقية السارية في الشبان والناشئين ووصف الادوية اللازمة لها سميناها

حديث هاشم بن يحيى

فضلاً عما سننشره في موضوع الانتقاد من الفصول الضافية غير هذه الرواية

اشتراك المجلة

اما قيمة الاشتراك فيها فقد جعلناه في بيروت ريالاً مجيدياً واحداً ، وفي سائر البلاد العثمانية ريالاً وربع ريال ، وفي القطر المصري خمسة وعشرين قرشاً صحيحاً (صاغاً) اي ريالاً مصرياً وربع ريال ، وفي اميركا والهند وسائر الاقطار ثمانية فرنكات ذهبية ، وهي قيمة زهيدة بالاضافة للمتاعب والماديات التي تصرف لاجلها ، غير اننا لا نسأل عن ذلك في سبيل الخدمة العامة والسعي وراءها ، رغبةً منا بالتسهيل واملاً بالاقبال عليها ، لاننا ننظر الى النفع العام قبل نظرنا الى المنفعة الخاصة



العرب والترك

ليس منا من دعا الى عصبية

(حديث شريف)

الاتحاد اساس العمران ، والاتفاق حياة الشعوب ، والتفرق مدمّرة الامم ، والتحزب مدعاة الخراب ، وكل امة انقسمت على نفسها كان مصيرها الدمار والملاشاة عن سطح الكرة ، و كل شعب جعل الوئام والمعاضدة أُساً لاعماله ، وقانوناً يعمل بمقتضاه ، كانت اولاه واخراه كحلقة مفرغة لا يُدرى اولها من آخرها ، بمعنى انهُ يبقى ما بقي الدهر سالماً من الانحلال والمحو عن هذه البسيطة ، ويكون آخر وجوده واوله سواءً في القوة والمنعة وعدم وصول يد التخريب والاذى اليهِ بسوء

— هذه قاعدة عمرانية اتفق على مضمونها العمرانيون وفلاسفة الاجتماع ، وشهدت لها الازمان الغابرة والحاضرة ، وعضدها تاريخ الامم منذ عهد الخليقة الى زماننا هذا ، ولا يخالفها الا من باع عقله ووجدانهُ في سبيل الهذيان ، ولا ينكرها الا جاهل غمر لا يعرف للسياسة معنى ، ولا يدري للاجتماع والعمران كُنهاً ، او متعصب تعصباً اعمى لا يعرف طريق السداد فيسلكه ، ولا القانون السياسي الحق فيتخذه دستوراً لاعماله ، او رجل يعرف الطريق القويمة لكنهُ يتعامى عنها ويذرّ الرماد في العيون لمآربهِ الذاتية وغاياتهُ الشخصية ، وهو اشد الجميع ملامة ، واولاهم بتوجيه سهام النقد والعذل ، لانه بعمله هذا يهوّر البسطاء لسلوك امرٍ هم في حاجة شديدة الى الابتعاد عنه ونفورهم منه نفور الصحيح من الاجرب :

اذا كنت لاتدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

هذه مقدمة نقدمها للكلام على بعض احوالنا الحاضرة لتكون ذكرى لقوم غافلين لا يدرون الناقة من الجمل ، ولا يفقهون لسر الاجتماع معنى ، ولا يعلمون لحقيقة

الاتفاق مغزى ، فهم مجروفون بسيل اهل البدع والاهواء ، من اصحاب السياسة الجديدة الخرقاء ، يتلاعب بهم تيار اولئك الزعانف من ارباب الدعوة الحديثة ، وذوي السياسة الضارة الخبيثة ، فهم في تيارات المقاصد السافلة غارقون ، وبين انياب هؤلاء الضواري يمزّقون ، وان لم يرجعوا عن اتباعهم وسلوك طريقهم فسوف يندمون ، ولات ساعة مندم لو كانوا يفقهون ،

— نقدم هذه المقدمة لتكون لمن تقدم ذكرى وموعظة ، وتكون للقائمين بالدعوة الجديدة ، وانصار هذا الحق الموهوم الذي أُريد بهِ باطل عبرة بها يعتبرون ، ان كان لهم عقول راجحة وافكار سامية كما يدعون ،

— نعني بهؤلاء القوم نفراً من قومنا وغيرهم قاموا يدسون السم في الدسم ، ويهيجون ما سكن من الفتن ، ويموهون على العامة البسطاء ، وعلى كثير مما يدعون انهم من الخاصة او خاصة الخاصة ، ويحركون فيهم عاطفة احياء الجنسيات ، وايقاد نار العصبيات ، بعد ان اطفأها العقلاء ، وعمل اخماد جذوتها ساسة العلماء ، واولئك هم شر الناس ، ولبئسما ما يصنعون

— قد ظهروا بمظهر الانصاف وطلبوا العدالة ، وهم حقاً يطلبون ، ولكنهم ساء ما يفعلون ، فقد طرقوا ابواباً نحن مفتقرون الى اقفالها ، وفتقوا رتوقاً كنا احوج الى رتقها ، ودخلوا البيوت من غير ابوابها ، ولم يأتوها من بابها الموصل اليها ، بل تسلقوا الجدران ، ودمروا على الناس بغير استئذان ، فكانت عاقبتهم الندامة والخسران ، ولا يشك في سوء هذا العمل اثنان ، ولا ينتطح فيهِ عنزان

— أُولئك القوم هم الذين ظهروا بعد ظهور شمس الدستور التي محقت بضيائها ظلماتهم ، ومحت بانوار عدالتها دياجيرهم ، فلم يجدوا امراً يمكّنهم (في زعمهم) من ارجاع مجدهم الداثر ، ومكانتهم السامية التي كانت لهم ايام الاستبداد الا طرق ابواب الجنسيات والتفريق بين الامة العثمانية ، فعمدوا الى هذا الامر السافل الذي لو تمّ

لهم «ولن يتم ان شاء الله» لرجعت الدولة الى تقهقر اشد مما كانت فيه في الزمن البائد ، اذ متى انقسمت الأُمة و وقع التنافر والتباغض بين شعوبها تنحلُّ رابطتها فيكون من ذلك خرابها ودمارها ، وتلك هي الطامة الكبرى على الجميع ، سواء في ذلك العاصي والمطيع ، و يكون السبب في ذلك اولئك الزعانف من كل شعب من الشعوب العثمانية ، وذلك لاغراضهم السيئة ، ومنافعهم السافلة ، وهم يعلمون (ولا ريب) حق العلم ان التفريق لو تم لهم لا يستفيدون منه الا ان يكونوا في مقدمة من يُقضى عليهم فيجعلوا في اسفل سافلين ، ولكن داء الحسد والحقد والتشفي من الحكومة الجديدة الدستورية العادلة هو الذي يدعوهم الى هذه الغاية الساقطة التي لا تحمد عقباها ، ولو كان في ذلك هلاكهم وهلاكها معاً

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

— نحن في حاجة ايها القوم لتأليف جمعية واحدة وعصبية واحدة الا وهي «العثمانية» اذ «لا جنسية في الاسلام» كما قال الرسول (ص) فالجنسيات كلها يجب ان تمحى ولا يظهر اثرها الا في لغة اصحابها، وفي معنى ذلك الامم غير المسلمة التي تخضع لسلطة الخلافة كما يخضع المسلمون لها ، فالكل يجب ان يُدعوا بالامة التي ينتسب اليها خليفة الوقت ، وامة خليفة هذا العصر هي الامة العثمانية ، فيجب ان نكون كلنا عثمانيين، وان تُسمى أُمتنا «الأُمة العثمانية» وبذلك نكون قد خدمنا الوطن والدولة وخدمنا انفسنا ايضاً بالاتفاق والاتحاد، ونبذِ الشقاق والتفريق ، فنبقى اذ ذاك محافظين على كياننا ومركزنا امام الامم كافة ، وان فعلنا غير ذلك انشبت فينا الدول مخالبها ، ومزقت احشاء ممالكنا ، وقضت على بلادنا ، واودت بما بقي فينا من الدماء ، وما يختلج من روح الحياة التي نأمل ان تعظم وتنمو بفضل الاتحاد العثماني، وبركة الاتفاق مع الشعوب التي يتألف منها جسم المملكة العثمانية

— قام بعد الدستور جمعيات كثيرة بفضل القانون الاساسي وهي حسنة من

حسناتهِ عظيمة لو قام بواجبها القائمون باعباء هذه الجمعيات٠ فان البعض منها يودون النفع والخير للامة ولكنهم لا يعرفون الطريق الموصل الى هـذه الغاية فهم يتخبطون تخبط العشواء في الليله الظلماء ٠ والبعض الآخر منها يود النفع وعرف السبيل القويمة المؤدية الى المطلوب فسلكها لكنه لم يظهر منها عمل يذكر بعد لكونها لم تزل في دور الطفولة وستنمو وتكبر حتى تصير شابة تعمل من الاعمال المفيدة مايذكر فيشكر

وهناك طائفة انشأوا بعض الجمعيات وموهوا على قومهم بانهم يريدون بهم خيراً وانهم سيعملون على انهاض الوطن ومعاونة جمعية الاتحاد والترقي على اعمالها الشريفة ، ولكنهم كاذبون فيما يدعون ، بل انما انشاؤها لاغراض لهم سافلة وغايات ظهرت ظهور الشمس في رابعة النهار ، ومن هؤلاء قوم اسسوا جمعيات تدعوا الى العصبيات التي محاها الاسلام بسيف الاخاء والمحبة ، فقد قال الرسول الاعظم (ص) : « لاجنسية في الاسلام » وقال : « ليس منا من دعا الى عصبية » وقال : « لافضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » وجاء في القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وجاء ايضاً : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » — اما هؤلاء الاقوام فلم يعبأوا بفائدة الاتحاد والاتفاق ، ولم يلتفتوا الى ماورد في الكتاب والسنة ، من ترك النظر الى الجنسيات ، وعدم الالتفات الى العصبيات ، بل اخذوا يمزقون جسم الامة العثمانية بتأليف كل قوم جمعية تدعو ابناء لغتهم الى الانضمام اليها والانضواء تحتها ، واخذ كل قبيل يطعن في الآخر ويبين معائبه ، ويظهر الى اهل لغته مساويء اهل الجنسيات الاخرى ، فبدأ على اثر ذلك فتور بعض العلائق بين الامم التي جمعتها صيحة الدستور حتى اصبحوا بنعمة الله اخوانا

— غرّ القائمون بهذه الجمعيات اقوامهم واوهموهم بانهم سيكونون خير نصير وظهير للدفاع عن حقوقهم ، وانهم لا يريدون الا صيانة حقوقهم والمحافظة على الدستور والحرية التي منحت للشعوب العثمانية ، فاغترّ بعض الاغرار بهم وانضموا اليهم

وصاروا آلة صماء بايديهم يديرونها كيف يشاؤون ، وهم عن اعمالهم المنافية للقانون والشرائع غافلون ٠

من هذه الجمعيات التي اتانا بها الزمان الاخير جمعية معروفة ٠ أُسست هذه الجمعية فاستبشر بها ابناء لغتنا الشريفة وهشوا لها وبشوا ، ظانين انها ستكون كما زعمت في نشراتها متفقة مع مباديء جمعية الاتحاد والترقي المقدسة وانها ستعمل على نفع ابناء الناطقين بالضاد ، فخاب ظنهم وطاش سهمهم ، اذ رأوا أن هذه الجمعية لم تُؤلف الا من قوم سقطوا عن مناصبهم ، وكثير منهم ممن عُرف بالجاسوسية والاستبداد ، فنفر الناس منهم نفور الظبي من الاسد ٠ نعم ان بين افراد هذه الجمعية نفراً قليلاً من الاحرار حقيقة وقد عُرفوا قبل الدستور بالمباديء الشريفة ، ولكنهم قد انخدعوا كما انخدع غيرهم وسيعرفون انهم مخطئون ، فينسلون منها قبل ان يسبق السيف العذل او يحسّن القائمون بها مبدأهم

— هذه الجمعية كانت سبباً عظيماً لسوء التفاهم الذي حصل اخيراً بين بعض الاتراك وبعض العرب فأدى الى نشر تلك الرسائل التي لا يرضاها تركي ولا عربي ، اللهم ان كان من الاحرار الصادقين الذين يحبون نفع الدولة والأُمة نفعاً حقيقياً ، فتوهم بعض بسطاء الاتراك ان العرب كلهم على هذه الشاكلة ، وظن بعض الساذجين من العرب ان الاتراك كلهم لا يريدون بالعرب خيراً ، بل هم عاملون على اسقاطهم ، وانهم يضمرون لهم العداوة والبغضاء ، وكاد هذا الفكر ينتشر بين الامتين لولا ان تداركته العقلاء منهما بالحقائق الراهنة والمقالات والارشاد والخطب وغير ذلك ، فعرف الناس من العرب والترك ان هذه الاقوال التى سمعوها انما هي وشايات من المتقهقرين المعطلين ارادوا بها ان يوقعوا شرا بين الامتين ، فيكون منهُ نار تلتهب التهابا ، وربما عاد الحكم الاستبدادي فيعودون الى مناصبهم ، وان لم يعد (وهو الصحيح) فيكونون قد تشفوا من الحكومة الدستورية ، ولم يعلموا ان السيل يجرفهم مع من يجرف ،

وان النار تلتهمهم مع من تلتهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله

* * * *

قامت في استانة جريدة عربية تسمى ...... تناضل عنا وتطالب بالنيابة عنا بحقوقنا المهضومة بزعمها ، ولو ان طلبها حق فهو «كلمة حق اريد بها باطل» واننا لسنا بهذه الدرجة من السقوط حتى نُنيب مثل هذه الجريدة للدفاع عن حقوقنا والمطالبة بها ، فان عندنا من الفلاسفة والعلماء والخطباء والساسة كثيراً هم اولى بان يتولوا مثل هذا المنصب

نحن العرب قد ارسلنا نواباً عنا في مجلس الامة وقد القينا اليهم بمقاليد امورنا ، فهم ان رأَوا حقاً من حقوقنا مهضوماً طالبوا بهِ حسب مايخولهم اياه نظام المساواة والعدل ، وهم ان قالوا فعلوا ، وان جهروا بالطلب يسمع نداؤهم ويلبى طلبهم ، لانهم أُمناؤنا ولهم الحق بان يتكلموا بالسنتنا

لا يخلو عدد من اعداد هذه الجريدة من الطعن والتفريق بين العرب والاتراك بما يُدسّ في خلال سطورها من السم الذي لو تمكن في جسم الامة لمزّقها تمزيقاً . قامت تمدح كل عربي وتدافع عنه ولو كان اسقط الناس ، وقد اشتهر امره بالاعمال المنكرة ايام الدور الماضي كعزت وملحمة وامثالهما ، وتذم كل تركي ولو كانت كعبه راسخة في الفضائل والاخلاق العالية والاعمال الصالحة التي تعود على الامة والوطن والدولة بالخير الجمّ . وفي هذه الخطة التي رسمتها واتخذتها دستوراً لعملها دليل كاف على غايتها السافلة ، وبرهان ناصع على ما تكنّه في صدرها من سياسة التفريق بين الشعوب العثمانية

نحن نعلم الشرارة الأُولى التي اوقدت هذه النار ، ونعرف من اين ظهرت ، وفي اي ارض وُلدت ، وعن اي فكرٍ نشأَت ، فكأَن قادحي زندها ، ومُوري نارها لما علموا ان سياسة التفريق بين الترك والارمن قد نجحت في الدور السابق ونالوا

بسببها ما نالوا ظنوا ان هذه السياسة تنجح اعمالهم وتوفق مساعيهم، ولم يعلموا ان هذا الدور غير ذاك وان الامة قد تنبهت ورفعت عن بصيرتها برقع الغرور والتباغض ، وصارت كلها يداً واحدة على كل من يسعى بترويج سياسة التفريق والشحناء ، فليلزموا السكينة والوقار ، ولا يضرموا هذه النار ، وليكف الساعون بهذه الفكرة الضارة ، العاملون على نشرها ، وليمتنعوا عن تلقي تلك الاوامر التي يتلقونها ، فهو خير لهم واولى ·

نحن العرب ابناء تلك السلالة الطاهرة التي اسست هذا الملك ونشرت نور المعارف والهداية ، ثم وقع التفريق بيننا وكاد يتقوض ركن هذا المجد العالي لولا ان تداركه الله برجال آل عثمان اخواننا الاتراك ، وسواء كان الملك بيدنا ام بيدهم فانهم اخواننا ونحن اخوانهم ، وكلنا نعمل لما ينفع الامة والوطن، فلا فرق بين ان يكون الملك بيدنا او بيدهم · بل ان الملك الآن بيدنا جميعاً اذ لا حكم الا للامة والامة من جميع الشعوب قد فوضت حقوقها وما تطلبه الى نوابها اعضاء مجلس الامة ، فالحكم اذن مشترك بيننا وبينهم ، بل حظنا منه اكثر من حظهم لان نوابنا اكثر من نوابهم ولكن الجميع يعملون لمنفعة الجميع على السواء ، وهذا ما يقضي بهِ الاِخاء

نحن العرب بريئون من اعمال البعض من قومنا وهم الذين يدعون الى العصبيات والتفريق ، وانا نابذوهم نبذ النواة ، فلا معوّل على كلامهم ، ولا سميع لجلبتهم وضوضائهم

ربّ قائل عربي : ان كان القائمون منا بهذه الاعمال المنكرة ممن لا يقام لهم وزن ، فهل القائمون ضدنا من الاتراك كذلك ؟

— فنقول له نعم ، ان القائمين ضد العرب هم زعانف الاتراك واوباشهم ، وهم ممقوتون عند قومهم ، اذ عُرفوا بينهم بغاياتهم السافلة كما عُرف بيننا القائمون بدعوتهم الجديدة دعوة النزوع الى العصبيات

فان قال قائل : كلا . بل ان القائمين من الاتراك ليسوا كما تدعي ، بل هم قوم محترمو الجانب مرفوعو المقام كالبرنس (صباح الدين) وغيره فان ما تفوّه بهِ هذا البرنس هو مما يدل دلالة صريحة على سوء نية الاتراك ، والدليل على ذلك انه حر كبير من احرارهم ، بل هو على ما قيل رئيس جمعيات الاحرار ، فان كان عاقلهم ورئيس جمعيات احرارهم على هذه الشاكلة فكيف يكون من دونه من الناس؟

— فالجواب انك واهم ايها الرجل ، فان عقلاء الاتراك واحرارهم براء من هذه الوصمة ، بل هم محبون للعرب حباً شديداً وميالون اليهم ميلا عظيماً ، وكيف لا وان كثيراً من اعضاء جمعيات الاحرار هم من العرب ، بل ان اكثر مؤسسي هذه الجمعيات هم من العرب كما يعرف ذلك من اطلع على ماجريات الامور ، ولكنك خلطت الاشرار بالاحرار ، وألقيت الكل في النار ، الم تعلم ان كثيراً ممن يدعي الحرية هي بريئة منهم وهم بريئون منها ، وانما اندسوا في تلك الجمعيات في هذه الايام وفي ايام الاستبداد لاغراض لهم معلومة « ولي فيها مآرب أُخرى » وهم في الحقيقة ضد الحرية والاحرار وجواسيس على اعمالهم وماجريات شؤُونهم ، وكثيراً ما كان هؤلاء الاشرار سبب القضاء علَى الاحرار

— البرنس « صباح الدين » وما ادراك ما البرنس « صباح الدين » ؟ هل تظن انه من الاحرار كما شاع وذاع حتى ملأَ الاسماع ؟ كلا ثم كلا . . . . . . بل هو . . . . وماذا اقول لعلك لا تصدق ان قلت !! . . . . قل لي هل تصدق ؟ . . . . « وما انت بمؤْمنٍ لنا ولو كنا صادقين »

— اعلم ان البرنس (صباح الدين) كان جاسوساً على الاحرار حتى على ابيهِ المرحوم في اوروبا ، وهو لم يندس معهم الا ليستطلع اخبارهم ، وكان يرسل بها الى قصر « يلدز » !! . . . . وقد عرف ذلك الاحرار منه بعد اعلان الدستور ، ولهذا رفضوه جانبا ولم يقبلوه ان يدخل عضواً معهم .

— فهل يستغرب من رجلٍ مثله ان تكلم بكلام ضد العرب يمس به عواطفهم؟ انه لا يريد بمثل هذا الكلام الا ايقاع ذات البين والتفريق بين الامتين ، ولعله مدفوع بغرضهِ الشخصي ، او بغرضٍ لغيره نفسي !!

— انظر الى فكره الساقط وكيف انهُ كان يريد ان يجزئ المملكة ويقسمها ليكون عاقبة امرها الانحلال والخراب ؟

— هل مَن يريد ذلك يُعدّ من الاحرار او من الذين يُعتب على امةٍ باسرها لاجلهِ ؟ كلا ثم كلا

اذا اردنا ان نضرب الامثال فلنضربها بمثل التركي الحر الشهير احمد رضا بك رئيس مجلس الامة اليوم ، فقد جاء في خطابه الذي القاه يوم المأدبة السلطانية هذه الجملة الذهبية : « ان هذه الحفلة لم يحدث لها مثيل في تاريخ الاسلام الا في ايام خلفاء العرب فالمدنية العربية هي المدنية الاسلامية الحقة »

قال هذا القول احمد رضا بك رئيس الاحرار واعظم الاتراك ، فعلى كلامه المعوَّل ، واما كلام غيره ممن لا يقام له وزن فلنضرب به عرض الحائط

اي اخواني العرب : اني عربي مثلكم ، دمي عربي ، ونبيي عربي ، وكتابي عربي ، وانا فداء العرب . فدعوا رحمكم الله قول من يريد بنا الشر ، ويسعى بيننا سعياً منكراً ، ويوقد نار البغضاء ، فاولئك ضلوا عن سبيل الله ويريدون ان يضلوا كثيراً منا .

— اي اخواني الاتراك : لا تؤاخذونا بما فعل البعض منا ، كما اننا لا نؤاخذكم بما يفعل البعض منكم . ولكن قوّموا ضدّ هذا النفر منكم قيامنا ضد ذلك النفر منا وبذلك نخلص من سوء التفاهم الواقع بين عامتنا وعامتكم ، وكان بودي ان لا اقول نحن وانتم لولا ان المقام اقتضى ذلك ، لاننا أُمة واحدة فلا نحن ولا انتم ، بل انتم نحن ، ونحن انتم

— لنكن ايها العثمانيون على اختلاف الاجناس يداً واحدة نسعى مسعى واحداً ونقصد مقصداً واحداً وهو خدمة الدولة والجامعة العثمانية ، ونعمل على قطع لسان ويد كل من مدّهما بسوء بقصد التفريق بين العناصر التي تتألف منها الدولة العلية العثمانية ، وهذا هو التضامن والاخاء ، والتضافر على الاعمال التي تنهض بالوطن ، هدانا الله جميعاً سواء السبيل ، انهُ نعم المولى ونعم النصير . عاش الدستور . عاش الخليفة الدستوري . عاش الجيش العثماني المظفر . عاشت الاحرار . عاشت جمعية الاتحاد والترقي . عاشت الحرية . عاش كل محب للجامعة العثمانية .

الانتقاد
ومشارب المنتقدين

السعي وراء الحقائق دأب كل عاقل يربأ بنفسه ان يرد موارد الاوهام والظنون ، وشنشنة المرء الذي لايهمه الا التنقيب عما هو حقيقة راهنة لايقبل الايهام ، فمعرفة الحقيقة واستطلاع شؤونها غاية ما يتطلبه العقلاء ، ومنتهى ما يسعى لاجله الادباء .

وقد زعم قوم ان لاحقيقة في الوجود ، وهذا قول صادر عمن لاروية لهولا تعقل ان قصد به نفي الحقيقة ، وقد يكون له وجه من الصحة ان اراد بذلك ان الحقيقة مستورة مقنَّعة بأباطيل المبطلين ، واستار المموّهين ، وهم الذين يرون الحق الابلج غير انهم يعدلون عن الجهر بهِ لاغراضٍ لهم ، لخوفٍ من مستبد او خجلٍ من الاقرار بالخطإ وغير ذلك — فان كان المدعي من هذا القسم فهو ممن يمكن اقناعهم وارجاعهم الى الوجه الحق بالبراهين والادلة التي لاتقبل الرد

ومتى ثبت ان في الوجود حقيقة راهنة فلا بد من السعي وراءها ، وذاك دأب

من تحركت في جسمهِ عاطفة الادب ، وجرى في جثمانهِ دم النبل ، غير ان معرفة هذه الحقيقة صعبة على من لم يحلب الدهر اشطره ، ويعرف حلوه ومرَّه ، لان تحصيل هذه المعرفة يتوقف على اذكاء نار الجد وايقاد جذوة الطلب والاجتهاد ، والمباحثة والمذاكرة ، والرد والاعتراض ، والمناقشة والانتقاد

عرف فائدة ذلك العقلاء فدرجوا عليهِ ، وتحققوا فوائده فاتخذوه اساساً لاعمالهم ، ورائداً لهم في أُمورهم . حوّل نظرك الى تاريخ من تقدم من سلف العلماء فترى ان مجالسهم كانت تغصّ بالادباء ، وتموج بامواج العلماء ، هذا يفيد وذاك يعترض والآخر ينتقد ، ووجهة الكل واحدة ، وهي نصرة الحق ، واظهار الصحيح من قواعد العلم ، اللهم الا ماشذ عن ذلك وهم قليل لا يُعبأُ بهم ، ولا يُلتفت اليهم

الانتقاد يمحص الحقائق ، ويُثير الاذهان ، ويوسع نطاق العقول ، ويبرز الحقيقة من خفايا الوجود بابهى حللها واجمل برودها ، تتجلى للرائين كالغزالة عند الطلوع ، فتعشوا عند ذلك عيون المكابرين فيرتدّ بصرهم خاسئاً وهو حسير

ليس شيءٌ كالانتقاد مظهراً للعيوب كي تُجتنب ، ومبيناً للخطإ ليصلح ، ومميزاً للصواب من الخطل ، «فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض»

ليس من أُمةٍ حطت عنها اعباء الكسل ، ورمت باهمالها الى اقصى مكان ، الا وكان الانتقاد هو الداعي الاكبر والسبب الاقوى في تقدمها ، ولذلك نرى ان مقدار ارتقائها الى اوج السعادة في المعرفة والمدنية بكثرة عدد المنتقدين فيها ، واقتدارهم على معرفة مواضع النقد ليظهروها ، وحذقهم بمجالّ العلة فيخرجوها ، وما المنتقدون الا كالاطباء يرون العلل واسبابها فيعملون على تطهير البدن منها ، ويصفون لها من العلاجات والادوية ما يكون عاملاً على اخراجها واراحة الجسم من اذاها — هذا اذا كان الطبيب نطاسياً حاذقاً يقيس الاشباه بالاشباه والنظائر بالنظائر ، وليس فهمه قاصراً على ما درسه ، والا فيكون ضرره اكبر وخطبه اعظم

وكذا المنتقد يجب ان يكون ذكياً عالماً بمكان العلة والزمان الذي لا تخرج الا فيهِ حكيماً بكيفية وصف الدواء وطريقة الانتقاد ، يخاطب كل انسان على مقدار عقله ، وحسب ما عنده من الاستعداد ، فلا يطوّح بلسانهِ او قلمهِ الى غير الغاية التي من اجلها نصب نفسه منتقدا ، ولا يكن بذيئ اللسان متهوّر القلم ، فان فعل ذلك فقد ضلّ عن الغاية وحُرم ثمار النتيجة ، واولى له حينئذ أن ينتقد نفسه ويحملها عَلَى سلوك طريق الادب

كل انسان يروم ان يكون كلامه فصيحاً ، ورأيه صحيحاً ، ولكن من اين له ان يتحقق ذلك من نفسه قبل ان يحكم بهِ جمهور العقلاء مع التجرد عن الغايات السيئة ؟ لعمري لا يمكنهُ ذلك لان العقل الانساني كثير الخطاء وافر الخطل ، لا يقدر ان يستقل بمعرفة كثير من الامور ، فلا يعرف المرء صحة رأيه من فساده الا بعد ان ينتصب فريق المنتقدين ، ولفيف المرشدين ، فيهدوه للصواب ، ويرشدوه للمهيع الحق ، وبذلك تُقال عثراته وينجو من الزلل

لولا الانتقاد لما بعث الله الانبياء ، وعلّم العلماء ، وامر الناس باتباعهم والاستماع لنصائحهم ، اذ الغاية من ارسال الرسل انتقاد العادات والاخلاق ليرجع الناس عما أَلِفوه من الباطل ، واتبعوه من العقائد الفاسدة ، والاخلاق الكاسدة ، وبذلك تصلح حالهم ، وتستقيم سبيلهم ، فيكونون سعداء الدارين

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذان أُمرنا بالعمل بهما على لسان الانبياء هما فرعان عن الانتقاد او هما الانتقاد بعينهِ ، لان النهي عن المنكر يجوز ان يعتبر بهِ عموم اللفظ فيصح حينئذ ان يُراد ما كان منكراً في الدين وما كان منكراً في شريعة العلم ، فان رأينا احداً يفعل شراً نهيناه عنه وامرناه بضده ، وكذا لو رأينا احداً يقرر مسألة في العلم خطأً علمناه صحتها ونهيناه عن الاعتقاد بها خطلاً

مشارب المنتقدين

مشارب المنتقدين شتى تختلف باختلاف اخلاقهم وتباين اذواقهم ، وقد قيل : اللسان ترجمان القلب والقلم احد اللسانين ، فيستدل على طيب اخلاق المنتقد ولطافة طبعه وحسن قصده بما يبرزه على لسانهِ او قلمهِ من الالفاظ والجمل ، والعكس بالعكس .

فمنهم من يستعمل التؤدة والتأني ولا يتسرع في الانتقاد الا بعد ان يخبر المنتقد عليهِ خبرة تامة ويفكر فيما قاله تفكيراً ، ثم بعد ذلك يشرع في نقد قوله او فعلهِ متسلحاً بالادب التام ، واللطافة في التعبير عادلاً عن الالفاظ التي تنفّر المنتقد عليهِ، ويقارعه بقوي البرهان ومتانة الحجة ، وغايتهُ من ذلك اظهار الحق وتبيان الصحيح من الفاسد ليس الاَّ ، فلا يقصد من المجادلة تسفيه رأي المناظر ولافضحه بين الناس باظهار جهله وعيوبهِ ، لان ذلك مما حرَّمه الشرع والعقل ، فمن نحا هذا المنحى من الجدال فهو رجل انانيّ متعجرف يجب ان يطرح في زوايا الاهمال ، وان لا يُنظر اليهِ الا بعين الاحتقار والازدراء ، لانه اتخذ الحق ذريعة للتشفي من الناس وفضيحتهم فهو لم يطلب الحق لذاتهِ بل لاغراضهِ السافلة، فهو يجادل عن حق لكنه اراد بهِ باطلا . ومن نحا غير هذا النحو متخذاً الانتقاد ذريعة لاِحقاق الحق لا لهوى في النفس فبشره باقناع الخصم وخضوعه لديه ، وبذلك تتم الفائدة المرغوبة، وتحصل النتيجة المطلوبة

ومن المنتقدين من اذا رأى هفوة من احد ارغى وازبد ، وتسرَّع في النقد ، وسلق الخصم بالسنة حداد، ورماه بصخورٍ من الحدة شداد ، سلاحه بذاءة اللسان وحدة القلم وغير ذلك من الوسائل التي تضيع معها الحقيقة ، وتجعل المنتقد عليهِ لايقرّ بالخطاء وان كان مخطئاً ، وكثير من هؤلاء ليس قصدهم اظهار الحق، بل ابداء عيوب الخلق ، والابانة عن جهلهم وتسفيه آرائهم . على ان جمهور هذه الفئة كثيراً مايخطئون

المصيب ، ويصوّبون رأي المخطىء ، وذلك لعارض يعرض لاحدهم فيظن في نفسه النباهة والرآية والحكمة وأن كل ما قام بذهنهِ هو الصواب ، فان رأى شيئاً من غيره قام وقعد وسفّه رأيه وانكر عقله وسلبه ما أُوتيه من علم ومعرفة وتقوى وفضيلة ، ووصفه بالجهل والزندقة والمروق من الدين — ان كان الجدال في امر ديني — وان كان في مسألة علمية رماه بنبال الغباوة ونقص العقل وقلة الاختبار والتجرد من العلم بل ومن كل فضيلة

على اني لا انكر ان البعض ممن هذا شأنه قد تكون غيرته على العلم او الدين هي التي تدعوه الى ذلك ، ولكن يجب عليهِ ان يتكلف التأني وحفظ القلم او اللسان من ان يسبحا في بحور الشطط ، ويتيها في بيداء البذاءة والسفاهة والوقيعة في الناس ، لان ذلك مضيع للفائدة عقيم النتيجة ، بل كثيراً مايكون المنتقد هو المخطيء والمنتقد عليه هو المصيب ، فتسرّعُ المنتقد وتهوّره يُرجعانه بخفي حنين ، والخجل قد علا منه الوجنتين ، فتنظر اليهِ الناس شذراً وترمقه احتقاراً . فان تأنى المنتقد وتلطّف في الانتقاد ثم تبين خطاؤه فهو وان خجل من نفسه فهو عند الناس مرموق بنظر التعظيم ، لان غايته حسنة وقصده نبيل ، شأن كل اديب مهذب

اتباع الحق متى وضح

متى وضح الحق وظهرت آياته ، وجب على المنصف ان يتبعه ويقرّ بخطائهِ يأً كان المناظر او المنتقد ، لان الحق احق ان يتبع وقد ورد في الحديث : « خذ الحكمة ولا يضرّك من اي وعاء خرجت » وطالما ان القصد من المناظرة او الانتقاد هو احقاق الحق وابطال ما عداه فيجب على كلا الطرفين ان يُذعن له متى بدا بالادلة التي لا تقبل الريب ، ولا تحدّث الانسان نفسه بان قبوله للحق فيهِ شين له واظهار عيوبه لان الاقرار بالحق هو عين الصواب ، وفخرٌ لمن كان له عقل ونحا منحى اولي الفضل

الصحيح. قال عمر بن الخطاب (رضه): «اذا سئل احدكم عن شيء لا يعلمه فليقل لا ادري رحم الله امرءًا اهدى اليّ عيوبي»

— هذا وان المعترف بالخطاء تكون له المكانة السامية في قلوب الناس ويجلّونه منتهى الاجلال، لان اعترافه بذلك يدل دلالة صريحة على انهُ رجل حرٌّ صادق لا يخاف في الحق لائمًا، والعكس بالعكس. قال الامام الشافعي: «ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الاّ هبتهُ واعتقدت مودتهُ، ولا كابرني احد على الحق ودافع الحجة الاّ سقط من عيني ورفضته»

تلك فائدة الانتقاد الحق، وهذه مشارب المنتقدين فاختر ايها شئت بعد ما بينا مزايا كلا الفريقين

خلاصة شروط الانتقاد

للانتقاد شروط وآداب ينبغي للمنتقد مراعاتها والسير في جادّتها، وللمنتقد عليهِ شروط كذلك، فمتى راعى كل منهما ما وجب عليهِ من الاصول التي يلزمه اتباعها ظهر الحق ووضح الامر، وبطل قول زيد وعمرو، فكان كل منهما راتعًا في بحبوحة الصواب، آمنًا من العثار في عقبات الاكدار، والنزوع لحسام العداوة والاحقاد

وانا ذاكرون شيئًا من تلك الآداب والقواعد التي يجدر بالمنتقد والمنتقد عليهِ ان يجعلاها نصب اعينهما، ولا يُغفلاها طرفة عين

الاول: مناظرك نظيرك فلا يجوز احتقاره ولا الازدراء برأيه مهما كان سافلاً او خطاءً، بل يجب ان تلاطفه وتجامله الى ان تفري ببرهانك القاطع رأس رأيه الفاسد، وتُنير بدليلك الساطع غياهب فكره المظلم. اذ ليس المراد من الانتقاد نقد الشخص نفسه او اظهار انه فاسد من حيث انه فاسد، وانما القصد تبيين الصواب واظهار الحق، وارشاد من حاد بفكره عن منهج السداد، او اسقطه رأيه

عن منصات الرشاد ، واذا كان الغرض كذلك فالازدراء بالمناظر والحط من كرامته يحولان دون الوصول الى المطلوب ، ويمنعان الخصم من الاعتراف بالحق اياً كان المحق وقد ورد في الحديث : (من امر بمعروف فليكن امره بمعروف) اي من نصب نفسه لوعظ النـاس وارشادهم وانتقاد عاداتهم واخلاقهم فليستعمل التؤدة والتـأني والمعروف من القول فلا يتهوَّر بلسانهِ او قلمـه ، بل يجعل الحكمة في النصيحة نصب عينيهِ ٠

الثاني : كل دعوى لم تكن مقترنة بالدليل فهي ساقطة عن درجة الاعتبار ، فلا تدَّعِ دعوى قبل ان تكون قتلت البرهان علماً

الثالث : لا تستعمل الحدة في كلامك وان كنت اديباً في الفاظك ،فالحدة لا تنتج المقصود ، بل ربما اذهبت المطلوب

الرابع : يقول علماء الجدل وآداب البحث والمناظرة : ان كنتَ مدعياً فالدليل او ناقلاً فالصحة ٠ اي ان كان كلامك دعوى من قبل نفسك فاجعل البرهان سياجاً لها يمنع الداخل ، ومجناً يدفع نبال المناظر وسيف المجادل — وان كنت ناقلاً لكلامك عن كتاب فأَثبت ذلك النقل وصحح ما نقلت

تلك اصول اربعة اذا اعتصم بها المناظران وتمسكا باهدابها وصل كل منهما الى ما يريد من اظهار الحق

هذا ما اردنا ايراده موجزاً تمام الايجاز لان المقام طويل الاذيال واسع الاردان فعسى ان نسير جميعاً في هذه السبيل فنفوز بما نروم من القصد ، فالحقيقة بنت البحث والله الموفق للصواب

المنتخب

من بلاغات العرب

سننشر تحت هذا العنوان مايروق المتأدبين من منثور ومنظوم مع ذكر المناسبات التاريخية المفيدة

قال الاصمعي وابو عمرٍو وغيرهما : ابرع بيت قالته العرب قول الهذلي :

والنفس راغبة اذا رغبتها وإذا تُردُّ الى قليل تقنعُ

واحسن ماقيل في حفظ المال قول المتلمس :

قليل المال تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

وارثى بيت قول عبيدة :

فما كان قيس هلكه هلكَ واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدَّما

واصدق ماقالتهُ العرب قول الحطيئة :

من يفعل الخير لايعدم جوائزه لايذهب العرف بين الله والناس

وألأم ماقالته العرب قول الآخر :

تلقى بكل بلادٍ ان اقمتَ بها اهلاً باهلٍ وجيراناً بجيران

واخنث بيت قالته العرب قول الاعشى :

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يارجلُ

واجود ماقيل في الحرب قول طفيل الغنوي :

بحيٍّ اذا قيل اركبوا لم يقلْ لهم عواوير يخشون الردى اين نركبُ(١)

واجود ماقيل في الصبر قول نافع بن خليفة :

ومن خير ما فينا من الامر أننا متى ما نُوافِ موطن الصبر نصبر

* * * *

(١) العواوير : الجبناء . مفردها عُوّار

لهدبة العذري :

ولا اتمنى الشرّ والشرّ تاركي ولكن متى أُحملْ على الشرّ اركبِ
ولستُ بمفراحٍ اذا الدهر سرّني ولا جازعٍ من صرفه المتقلبِ

ولأبي محجن الثقفي في كتمان السرّ :

لاتسألِ الناس عن مالي وكثرته وسائل الناس عن بأسي وعن خُلقي
قد اطعن الطعنة النجلاء عن عرض واكتم السرّ فيه ضربة العنقِ

ارسل معاوية يطلب خراج مصر سنة واحدة من عمرو بن العاص وكان قد تركه له فكتب اليهِ عمرو القصيدة الجلجلية التي اولها :

معاويةُ الفضلَ لاتنسَ لي وعن منهج الحقّ لا تعدلِ
نسيتَ احتياليَ في جلّقٍ على اهلها يوم يبس الحلي (١)
وقد اقبلوا زمراً يُهرعون ويأتون كالبقر المُهمل (٢)
ولولاي كنت كمثل النساء تعاف الخروج من المنزل
نسيت محاورة الاشعريّ ونحن على دومة الجندل (٣)
وألعقته عسلاً بارداً وأمرجت ذلك بالحنظل (٤)
أَلينُ فيطمع في جانبي وسهميَ قد غاب في المفصل
واخلعتها منهمُ بالخضوعِ كخلع النعال من الارجل
والبستها فيك لما عجزتَ كلبس الخواتم في الانمل (٥)
ولم تكُ والله من اهلها ورب المقام ولم تكملِ
وسيّرتُ ذكرك في الخافقين كسير الجنوب مع الشمأل (٦)

(١) جلق : دمشق . الحلي : نبات (٢) اي كالبقر السمان الغلاظ (٣) دومة الجندل : مكان في سوريا (٤) امرجت خلطت كمرجت (٥) الانمل : رؤوس الاصابع واحدها انملة واراد بها الاصابع كلها مجازا (٦) الجنوب : ريح تقابل ريح الشمال ، والشمأل : ريح الشمال . الخافقان : المشرق والمغرب

نصرناك من جهلنا يا ابن هند على البطل الاعظم الافضل (١)
وكنت ولن ترها في المنام فزفت اليك ولا مهر لي
وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصة في علي
وان كان بينكما نسبة فاين الحسام من المنجل
واين الثريا واين الثرى واين معاوية من علي

وذكروا في سبب ترك معاوية لعمرو خراج مصر أن معاوية لما جاءه كتاب علي (رضه) من الكوفة بالبيعة او الحرب ارسل الى عمرو بن العاص يستشيره فقال: اما علي فوالله لا نسوي بينك وبينه في شيء، وان له في الحرب لحظاً ما هو لاحد في قريش. قال صدقت ولكنا نقاتله على ما بايدينا ونلزمه قتل عثمان، ثم قال له مد يدك فبايعني، فقال والله ما أعطيك شيئاً من ديني حتى آخذ من دنياك

وقيل بل انشده:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصراً فأربح بصفقة اخذت بها شيخاً يضر وينفع

فاعطاه مصر طعمة وكتب له بذلك شروطاً وأشهد عليه شهوداً فبايعه عمرو وتعاهدا على الوفاء.. فلما سار علي (رضه) من جهة الكوفة الى جهة معاوية بالشام سار معاوية وعمرو من دمشق الى علي فاجتمعت الجموع بصفين وجرى بين الجيشين في صفر سنة سبع وثلاثين وقعات كثيرة قيل هي تسعون وقعة في مائة يوم وعشرة ايام، وقتل من اهل الشام خمسة واربعون الفاً ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفاً، ولما تفاقم الامر بينهما اشار عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح اشارة الى تحكيم كتاب الله في الامر المختلف فيه وكانت خمسين مصحفاً، فارسل علي (رضه) الى معاوية يسأله عن سبب رفع المصاحف فقال لنرجع نحن وانتم الى ما امر الله في

(١) اراد به علي بن ابي طالب رضي الله عنه

كتابه فتبعثون رجلاً منكم ونبعث رجلاً منا فيعملان بكتاب الله ونتبع ما اتفقا عليه ، فقال الناس رضينا ، وكان اهل الشام قد اختاروا لهذا الامر داهية العرب عمرو بن العاص، واختار اهل العراق ابا موسى الاشعري ، وقد أُخذت عليهما العهود والمواثيق من الفريقين أن لا يخونا ، واخذا هما الامان على انفسهما وان تكون المبايعة على ما يرضيانه . ثم خرجا واجتمعا في دومة الجندل في شعبان سنة ثمان وثلاثين . فقال عمرو لابي موسى : ان هذه الفتنة لا تزال قائمة ما دام واحد من هذين الاثنين متولياً امر المسلمين فقال ابو موسى : فما ترى ؟ قال ارى ان يصعد كل واحد منا المنبر ويخلع صاحبه وندع الخلافة شورى بين المسلمين يولون امرهم من ارادوا ، فاجابه ابو موسى لذلك غير عالم بما اكنه صدره من الاحتيال ، وتقدم ابو موسى وصعد المنبر وقال : « ايها الناس انا نظرنا في امر هذه الامة فلم نرَ اصلح لامرها من امر اجتمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو ان يخلع كل منا صاحبه ويجعل امر المسلمين اليهم ، واني قد خلعت علياً فاُستقبلوا امركم وولوا من شئتم » ونزل فصعد عمرو المنبر وقال : « ان ابا موسى قد خلع علياً كما سمعتم واني قد خلعتهُ كما خلعهُ واثبت معاوية فانه وليُّ عثمان والطالب بدمه واحق بمقامه » ثم نزل . اما علي (رضه) فرجع بجيشه الى الكوفة .

الحزب المعطل

او المتقهقر

اجتمع اثنان من الاحرار وتذاكرا في بعض الشوؤن الى ان افضى بهما الحديث والحديث ذو شجون الى الكلام عن ذلك الحزب الخاسر حزب التقهقر فقال احدهما للآخر :

— أرأيت مايحدثه هؤلاء الاقوام من الفتن وما يهوّلون بهِ من الاشاعات التي لا برهان لها من الحقيقة؟

— رأيت ذلك وسمعت عنه كثيراً ، ولو علموا ان نتيجة ذلك خسرانهم ودوران الدائرة عليهم لأقلعوا عنه ، ولكنهم يتوهمون انهم بعملهم هـذا يحسنون صنعا ، ولم يدروا انهم يسيئون الى انفسهم والناس اجمعين

وكان بالقرب منهما رجل من كبار المتقهقرين يستمع اليهما فضاق ذرعه وغلا مرجل حقده من حديثهما، ولكنه لايستطيع مجاهرتهما بالمعارضة خوفاً من ان يُعرف امره ويشتهر حاله بانه من حزب الاستبداد وانصار التقهقر الذين يريدون ارجاع الحالة الأُولى (لا اعادها الله) ولكنه تلطف بمقاله وتكلف ان يظهر بمظهر الاحرار الناقمين علَى الدور السابق البائد ، فالتفت اليهما وقال :

— علمتُ ان هذا الحزب الخاسر .... قد نما نمواً عظيماً وله فروع كثيرة في جميع انحاء السلطنة العثمانية ، وهو الآن اعظم قوة واوفر عدداً من حزب الاحرار ، وربما يظفر فتعود الحالة السابقة

— لاتظن ذلك كائناً وقولك هذا بمعزل عن الحقيقة وماظنك الامن المتقهقرين الذين يشيعون امثال هذه الخرافات ليوقعوا الامة في الريب ، فان حزب التأخر لا وجود له الا في بعض البلدان التي أَلِف اهلها الذل والاضطهاد من الكبراء وهي قليلة بالاضافة الى البلاد الراقية التي تعلّم اهلها دروس الحرية قبل نشر القانون الاساسي لهذا العهد ، وان جلّ ما تسمعه او كله اشاعات لااصل لها بل أُمور مختلقة صادرة عن بعض زعانف من الحكام المستبدين ونفر من أُولئك الاعيان الذين سقطوا عن منازلهم ومناصبهم وكُفت ايديهم عن ظلم الناس واضطهادهم واكل اموالهم بالباطل ، اولئك الاقوام هم الذين كانوا سبب الهبوط بالامة من اوج المجد الى حضيض التقهقر ، اولئك الاقوام هم الذين يهيجون الآن الرأي العام ضد الدستور وجمعية الاتحاد والترقي

المقدسة ، و يدسون السم في الدسم ، و يبذرون بذور الشقاق في البلاد ، علّهم بذلك يرجعون الى سالف مجدهم الباطل وشرفهم الموهوم . وان كثيراً من هؤلاء مندسون في جسم تلك الجمعية المقدسة وهم من اعضائها ، واني اظن بل أؤكد ان الجمعية ان لم تهتم بامرهم وتضربهم ضربة تقضي بها عليهم ربما ينالون مايسعون وراءه ليل نهار

ثم انصرف المتقهقر الظاهر بمظهر الاحرار ، وبقي الحران يتجاذبان اطراف الحديث الذي كانا فيه ، فقال احدهما لاخيه :

— هل رأيت هذا الخاسر الذي يدعي انه من انصار الحرية ؟

— كنت مغتراً بهِ قبل الآن ، اما وقد بدا منه مابدا فلا شك انه من المنافقين ، غير اني لا أعبأُ بهِ ولا بامثاله لانهم عندنا قلائل واحقر من ان نهتم بامرهم

— نعم انهم عندنا كما قلت : قليل عددهم ، محتقر حزبهم ، ولكن ينبغي لنا ان لا نتغافل عنهم كيلا يبثوا هذا الفكر الكاسد الخبيث في اذهان البسطاء

— تقول الحق ، غير اني اظن انهم لايستطيعون ابراز فكرهم امام احد ، اللهم الا ما كان من مثل تشويش الافكار كما فعل هذا الخاسر معنا

— نعم ، وقد بدت طلائع ذلك في بعض البلاد فقد كان هذا الحزب المعطل سبباً لاثارة بعض الخواطر واحداث ما تسوء عاقبته ، فقد استجلب اليه الرأي العام « والعامة همج رعاع » واثار فتناً كاد يتطاير شررها ويعمّ ضررها وكان من هياجهم هذا ان بعض ذوي الاغراض الشخصية الدافعين الى هذا المنكر لغايات سافلة معروفة لدى كل فرد قد نالوا بسبب ذلك بعض ما ارادوه ورجع بعضهم الى مناصبهم التي اسقطهم الدستور عنها بعد ان استراحت البلاد من شرهم مدة ليست بقليلة ، ولكن سوف ينالون قسطهم من الجزاء ، والمستقبل كشاف

— هل تظن انهم يبقون على ماهم عليهِ من السيطرة الآن ؟

— كلا بل لابد من اسقاطهم او يكونوا اخياراً يعملون على نفع الوطن والامة ،

فان الناس الذين اغتروا بهم وكانوا آلة صماء بايديهم قد عرفوا أنهم خُدعوا ايما خداع، لانهم بعد ان نالوا ما كانوا يسعون وراءه رجعوا الى العجرفة والكبرياء، بعد المداهنة والتزلف والرياء. والعامة لابد ان يعرفوا حقوقهم التي منحهم اياها القانون، ومتى عرفوها وظهر لهم انهم مساوون للكبراء في الحقوق كافة قاموا على اولئك الرؤساء الذين يستبدون بهم، وكان من وراء ذلك انتصار عام للحرية والاحرار، في جميع القرى والمزارع والامصار

ثم افترقا راجين اصلاح الحال

ضرر المسكرات

جاء في جريدة باريس ما يأتي:

السم في الابسنت

نشر المسيو جول «كلارني» مدير التياترو الفرنسوي الكبير واحد اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي شذرات في جريدة الطان بين فيها شرّ الابسنت والاضرار العظيمة التي تحل بشاربيهِ وحذّر الفرنسويين من كثرة شيوعه بينهم واقترح اتخاذ ما يلزم من الوسائل لتخفيف ويلاته وتقليل عدد الحانات التي تبيعهُ او إلغائها.

والابسنت مشروب من جملة المشروبات الالكحولية التي تفنن في صنعها الانسان المتمدن المرتقي ووفر لها من اسباب الانتشار. وبشهادة كل الذين ذاقوا هذا المشروب لا يوجد على ما يظهر اقوى واشد منهُ طعماً وتأثيراً. وقد سمعت من احدهم ان الابسنت اذا اتخذ صرفاً بكمية متوسطة ربما يقتل لساعتهِ ولذلك لا ترى احداً من مدمنيه يشربهُ الا ممزوجاً بالماء على نسبة جزء الى جزئين على الاقل ومع كل هذا التخفيف لا يبرح فعلهُ هائلاً وعواقبهُ مهلكة

وقد شاع هذا الشراب في فرنسا ولا سيما في هذه السنين الأخيرة وكثر استعماله على الخصوص بين العملة والصناع وادمن عليهِ الفريق الاكبر منهم فصار عندهم وسيلة لكل البلايا والرزايا وقلما تجد في فرنسا منزلاً يدخلهُ الابسنت ولا يبارحه الهناء

ومعظم الاشقياء والقتلة والمرضى والمعتوهين هم من مدمني هذه الخمرة القتالة وقد بلغ تفشيها بين الناس واضرارها بالنفوس حداً قلقت له باريس والدوائر الحاكمة ومجالس القضاء حتى ان اثنين من مجلس النواب قدما اقتراحاً رسمياً الى المجلس يطلبان فيهِ منع بيع الابسنت في فرنسا اعتباراً من اول كانون الثاني سنة ١٩١٠

وفي الشذرات التي نشرها المسيو «كلارني» في الطان مايليق ان يُتخذ عبرةً لا للفرنسويين فقط بل لكل الامم · لان هذا الشراب القتال اخذ ينتشر بسرعة غريبة في كل البلاد وعند جميع الشعوب المتمدنة وقد رأينا ان نلخص منها ما هو اقرب للفائدة العمومية وانجع في التحذير من آفاته واضراره

* * * *

مسألة الابسنت في فرنسا تبدو تحت وجهين · الوجه التجاري وهو الذي حمل الحكومة على التساهل الى الآن في امره والوجه الصحي والنسلي وهو الذي يهيج اليوم الخواطر على الابسنت ويحملها على طلب منعهِ · ولا سبيل للتردد في تفصيل احد هذين الوجهين فالصحة والنسل قبل كل شيءٍ · ومهما يكن من الخسائر التي ستلحق بتجار هذا الصنف واصحاب الحوانيت التي ترزق من بيعهِ فذلك لا يذكر في جنب الاضرار اللاحقة بشاربيهِ والتأثير المنتقل الى ذرّية الالكحوليين

على انهم يقولون : في المسألة ايضاً نظر آخر · فان بائع الابسنت يطالب بحقهِ في الارتزاق والشارب يطالب بحريته في الشرب ولكن حق البائع وحق الشارب لا يقومان ما دام يلزمهما الاِضرار· إضرار الواحد بغيره وإضرار الآخر بنفسه ·

والهيئة من واجباتها منع كل حرّية مضرة

قال احدهم : أقفلوا الحانات تقفلوا السجون فالحانة خصوصاً حانة اليوم ليست الا الطريق المؤدية الى الجرائم والى السجون والى المستشفيات ، يأتيها الصانع وهو يظن انها كما كانت قديماً مجتمع الاصحاب وملتقى الاخوان فيقضي ساعة عطلته في المسامرة ويشرب قدحاً من عصير العنب او شيئاً غيره من المشروبات . ولكن كذب ظنه « فالاخوان » اليوم اخوان المسدس والخنجر والمشروب المنعش سم زعاف . يأتيها الصانع اليوم لا ليجدد قواه بشيء من المقويات بل ليتلف صحتهُ وعقلهُ وجيبهُ بالابسنت .

والشر يتفاقم والداء يتزايد يوماً فيوماً وكأن ابناء فرنسا لا همّ لهم الا تقصير آجالهم فتهافتهم على الابسنت ضرب من ضروب الانتحار

والاطباء والعلماء والحكماء لا يقصرون في الوعظ والانذار والارشاد ولكن احسن وافيد من كل ما يقال وينشر ثلاث او اربع كلمات تصدر من مجلس النواب متضمنة منع بيع الابسنت .

اقترح احد النواب آخراً وضع حد لتجارة هـذا المسكر وتقليل عدد الحانات وهذا الاقتراح كان قد عُرض على الندوة منذ اربع عشرة سنة وكان عدد الحانات في فرنسا وقتئذٍ ٤٥٠ الفاً وهو اليوم ٥٠٠ الف ويقدَّر انه اذا وافق المجلس على الاقتراح ينقص العدد ٥٠ الفاً ويعود الى اصلهُ

وقد تبين بالمشاهدة والاستقراء ان الجرائم تزداد مع زيادة المسكرات . ففي سنة ١٨٩٣ كان عدد المعتوهين في فرنسا ٥٩ الفاً والنسبة عينها في ازدياد الانتحار

والابسنت بين المسكرات اشدها ضرراً وفتكاً وفي هذا الشراب مزايا لا توجد في غيره فهو لذيذ الطعم جذّاب ملاّق كلما شرب منهُ الشارب طلب المزيد وكلما زاد شربهُ زاد به ولعهُ وكفاك شاهداً على عظم تأْثيره ان فريقاً من اعاظم الرجال

والكتاب أُولعوا بشربه ولم يستطيعوا الامتناع عنـهُ حتى لقوا حتفهم . و«ألفرد دي ميسه» الشاعر الفرنسوي الكبير احد ضحايا هذا المسكر القتال .

وقد وصف الحكماء والاطباء اضرار الابسنت اشنع وصف فقال «برتلو» الكيماوي أشهد مع كل الاطباء والفيسيولوجيين ان الابسنت سم هائل يفني صحة مدمنيه وعقلهم وقال «دارسونفال» : إجازة بيع مثل هذا السم الزعاف جناية على الوطن والانسانية .

وقد تبين ان اشد الامراض وافتكها ونقص المواليد في فرنسا وضعف البنية وقصر الحياة كل ذلك ناتج بالاكثر عن تعاطي الابسنت وزيادة انتشاره واذا لم تبادر الحكومة ومجلس النواب الى اتخاذ الوسائل الفعالة لمنعه تكون العاقبة وخيمة . ولكن يظهر ان اكثر النواب ميالون الى الموافقة على الاقتراح المتقدم ذكره ولعلهم يقرُّون ايضاً على منع الابسنت بتاتاً وبذلك يخدمون وطنهم واخوانهم اجل خدمة .

مقدمة كتاب

مطالع الاضواء . في مناهج الكتاب والشعراء

أطلعنا صديقنا الاستاذ الشيخ سعيد الخوري الشرتوني على كتابه هذا الذي سيظهر بعد حين الى عالم الادب، وسنتكلم عليهِ متى ظهر، وقد استئذناه في نشر مقدمته فقدمها الينا، ونحن ننشرها لتكون عنواناً على ما احتوى عليهِ الكتاب من المباحث التي يجدر بكل متأدب الاطلاع عليها . قال :

الحمد لله وحمده زكاة البيان . والثناء عليهِ طهور اللسان . والعياذ بهِ جنة تُتقى بها اسنَّة الحدثان . والاطناب في عجائب خلقهِ لا يعدو حدَّ الايجاز . واتباع اوامره الى حقيقة السعادة مجاز . والصلاة على انبيائهِ المكرَّمين . واصفيائهِ المقرَّبين أُنسٌ

لعباده المتقين · وتبسم في وجوه المرتجين

اما بعد فلا يخفى على من وجَّه نظره الى سير العلوم ان اساليب التصنيف من الامور الخاضعة لاحكام العصور · المنقادة الى مطالبها · العانية لمقتضيات احوالها · فهي بهذا الاعتبار عرضة لاختلاف الهيئات تبعاً لاختلاف الرغبات · وتنوع الحاجات · وان العلوم كسائر المخترعات البشرية قبولَ تحسين وافتقاراً الى تهذيب وتصحيح · وعوزاً الى بسط وايضاح · وان الاقدام على التصنيف في اي علمٍ قبل الاطلاع على سره والاقتدار على ابرازه تحت رداء من البلاغة رائع تتلألأ من تحتهِ المعاني ليس هو الا اجحافاً بقدر العلم وجرأةً على اربابهِ · وجنايةً على جمهور طلاَّبهِ ·

وما مثل من يجترئُ على ذلك الاَّ مثل من قدمهُ في الماءِ · وانفهُ في السماءِ · فيرجع ناكصاً على عقبيهِ · عاضاً من فرط الندم يديهِ · ولاسيما اذا نشر كتاباً في البلاغة لا يصلح الا مثالاً للركاكة · فهذا عصر تعدَّد فصحاؤُهُ · وكثر كتابهُ وخطباؤُهُ · ورفع علم الابداع شعراؤُهُ · فلا يروج فيهِ كتاب لم ينتشر على اوراقهِ ضوءُ البيان · بل يكون فضيحة لصاحبه باقية على وجه الزمان

فاذا رُوعي ذلك عُلم ان افضل مصنفٍ يوضع في فنٍّ ما انما هو المصنف المواجه الطالب بالغرض من ذلك الفن · الميسر له ادراكه من اقرب طريق · البارز بعبارةٍ متينةٍ مهذبةٍ لا ينبذها الذوق السليم

وهذا علم البيان على تعدُّد كتبهِ لا تزال تسمع معلمي الفصاحة في المدارس العربية يطلبون كتاباً فيهِ مهذَّب العبارة يكاشف الطالب بأسرار البلاغة وينهج له مناهج الكتابة · وحجتهم ان الهمم لعهدنا قد صارت متوزعة على طلب اللغات الاعجمية · واقتباس العلوم الرياضية · فتقاصرت عن ادراك الوطر من كتب البيان القديمة · إما للافراط في الاختصار واما للامعان في الاسهاب

ويضمّون الى ذلك ان المختصرات والمطوّلات لم تتخطّ الكلام في الكلمة المفردة واحوال الجملة الواحدة واتصال الجملتين وانفصالهما ولم تذكر مذاهب البيان في انشاء الرسائل والفصول والمقالات ولم تهدِ الظامي الى ينابيع المعاني اللهمّ الاّ ما جاء من ذلك على سبيل الاستطراد

فبقيت طُرُق نظم الكلام في كل باب من ابواب الكتابة متروكةً لهداية الفطرة وارشاد الطبع وتحكيم الحال كما بينتُ ذلك في مقالة (البيان العربي والافرنجي) التي قابلت فيها بين البيانين

وكذلك لم يتعرّضوا لمبحث النقد فيضعوا باباً يبين ضروبهُ ومذاهبهُ والغرض منهُ خلا ما تراهُ في تضاعيف الكتب مما يكون قد جرّهُ سياق الكلام

واغفلوا ايضاً امر الترجمة على عظمة شأنها فلم يؤصلوا لها اصولاً وغاية ما هنالك ان سيبويه ذكر اصولاً لتعريب الالفاظ الاعجمية وقد اثبتُّها عنهُ في كتاب (المعين) وكذلك في خطبة الوضع والتعريب

علَى ان القدماء لم يقفوا عند الحد الذي اشرت اليهِ ضناً ولا عجزاً بل اعتماداً على ان فيما اثبتوهُ غناء فان ايامهم لم تكن تطالبهم باكثر من ذلك · فلو وصلت بهم مطايا العمر الى هذا الأوان لاوضحوا المبهم واتموا الناقص فهم الذين البسوا اصول هذا الفن رداءً من نسج اقلامهم ينعقد ناظر القلب على جماله · كيف لا وهم سادة البيان · وأئمة اللسان · وفرسان هذا الميدان · وليس لمثلي في مباراة اصغرهم يدان · وقصارى القول ان افتقار مدارس العصر الى مصنَّف جامع يشتمل علَى ما يسعف الطبع من بيان مناهج البلغاء · في ابواب الشعر والانشاء · قد سوّل لي ان اتحف المتشوفين الى خوض ميادين الكتابة والشعر بكتاب اودعه خلاصة ما ارشدتني اليهِ التجربة وافادنيه الاختبار وعرّفنيهِ الاستمرار مما لم يزل تحت ذيل الخفاء · من اسرار كلام الفصحاء · ولما عقدت العزم على انشائهِ جعلت الغرض من هذا العلم نصب عيني واتخذت حالة العصر دليلي

وسبكتهُ سبكاً يسرع بالطالب الى بلوغ الارب · من علوم الادب · وقد صدَّرتهُ بتمهيد في الانشاء ليعلم المتعلم باديء بدءٍ ان هذا العلم ليس هو الاذريعة الى إحكام صناعة الكتابة والكشف عن اسرار البلاغة وقد رتبتهُ على ثلاثة ابواب وخاتمة

الاوَّل في اختلاف الصور التركيبية لاختلاف وجوه الصور المعنوية وهو المسمى (علم المعاني)

والثاني في طرق البيان التي يتجه فيها النظر الى اختلاف المعنى الواحد وضوحاً وخفاءً من حيث اختلاف الطرق في التعبير عنهُ وهو المسمى (علم البيان) وقد ضممت اليهِ مايسمونهُ بالبديع المعنوي لأن انواعه فنون بيان · ولا اراه فضلةً لادخل له في البلاغة خلافاً لما صرّح بهِ البيانيون أفلا ترى انك اذا عدلتَ عن ايّ نوع من تلك الانواع رأيت المقام يدَّعي عليك الاجحاف بحقهِ كما ترى في المذهب الكلامي والقول بالموجب ثم اني كشفت القناع عن المقصود من تلك الانواع في مظانها وهو سرٌّ لم ارَ من تعرّض لكشفهِ ممن تقدمني

والثالث افردتهُ للمحسنات اللفظية وهذه ليست من البلاغة في شيء بل هي حُلى اذا أُحكم وضعها زادت الكلام رونقاً وكستهُ حسناً

واما الخاتمة فقد ضمنتها كل ما اضفتهُ الى علم البيان مما خلت عنه كتب الائمة المتقدّمين وهو سبعة عشر باباً مدار الكلام فيها على بيان مناهج الانشاء وابوابه وطريقة التمرين عليهِ والنقد والاستشهاد وتاريخ الفصاحة العربية وعلم البيان عند العامة والترجمة واستعمال الدخيل

وقد ضممت الى الكتاب نبذة في الشعر وابوابهِ وفنونه وموازينه ومايطرأُ عليها من التغيير وطريقة التمرن على النظم فجاء كتاباً هادياً الى مذاهب البلغاء فسميتهُ (مطالع الاضواء · في مناهج الكتّاب والشعراء)

القصائد الشرقيات

سينشر تحت هذا العنوان القصائد التي نظمها منشئ « النبراس » في ايام الاستبداد في الشرق والشرقيين وحثهم على التعلق بمعالي الامور وطرح رداء الكسل والذل عنهم

١

هل من رقي ؟

رعى الله عهداً بالحمى ليس يرجعُ ... وهل راجع ما فات والقوم هُجَّعُ
مضى وصدورٌ ودَّعتها قلوبها ... اذا انجاب عنها مُفزع حلَّ مفزع
احاط بها داءٌ من الغمّ مُعضل ... فليست ترى نُجحاً ولا تتوقّع
يضيق بها عرض البلاد وطولها ... ورحب الفضا دون الذي فيه تطمع
فإما ابلّت ليلة من عيائه ... تأوّبها داءٌ اجلُّ واوجع (١)
وكيف تخطّاها النوائب والاسى ... وامتها في مجهل اللهو ترتع
تجاوزت النهج القويم الى الردى ... فليس لها الا هوى الذل منجع
اناخ بها داآن داءٌ بدينها ... وداءٌ بدنياها فكادت تقطّع
فلا هي ممن يحمد الله صنعهم ... لدى حيث اعمالُ البرية تُشرعُ
ولا هي للعلياء والمجد تغتدي ... فيحمدَ اهل العصر ما هي تنجع
ولكن الى كسب الفضائح همها ... وعن نيل ما فيه العلى تترفع
اذا جاءها هادٍ ليصلحَ بالها ... ويُرجعَ ماضي عزّها تتمنع
وتنأى كأن الموت مُثّل مُرشداً ... اوَ انَّ وعاء الرشد بالغيّ مُترع (٢)
وتجمح ان تخطو الى المجد خطوة ... كأنّ العلى وادٍ به الذعر يربع (٣)

---

(١) ابلت : شفيت . الداء العياء : الذي اعيا الاطباء . تأوّبها : رجع اليها (٢) مترع : ملآن
(٣) الذعر : الخوف

وقد كان منها من اقاموا بجدهم اراكين مجد دونها القوم خُشَّع
وشادوا قصور المكرمات واطلعوا بدور علوم ما لها اليوم مطلع
مضوا ولسان الحال ينشد بعدهم رعى الله عهداً بالحمى ليس يرجع
وقد غربت في الغرب شمس علومهم فهل بعد ما تقضي اللبانة تطلع[١]
فانا عهدنا الشمس تُحجب ليلة ولو لبثت عنا لياليَ نجزع
فما بالها تمضي القرون ولا نرى جمال محياها علَى الشرق يسطع
فهل لك يا نور الوجود ضغينة على اهله ام هم الى اللهوِ نزَّع
سلوكِ فأسلوكِ المرابع بعد ما سفرتِ لهم دهراً وما لك برقع[٢]

* * * *

هلِ الشرق الا منزل نام اهله طويلاً فما يدرون ماالناس تصنع
يظنون قد طالوا السماكين رفعةً وما لهمُ الا هُوى الهون مضجع[٣]
تخالهم يقظى وانَّ قلوبهم يحفُّ بها سورٌ من النوم امنع
تحوطهمُ سحب الخمول فكلهم اخو ضعةٍ في غمرة الجهل يسكع
يميل لداعي الغيّ ميل متيّم حليف هوى في خمرة العشق يكرع
فلستَ ترى فيهم هماماً مدرَّباً (يواسيك او يسليك او يتوجع)
اضاعوا معاليهم فباءُوا بخزيةٍ اذا نزلت صمَّ الجبال تَصدَّع
تناولها منهم شباب وشُيَّبٌ وطُوِّقها قسراً فطيم ومُرضَع
فمنهم بتيّار الجهالة غارق ومنهم افاويق الخرافات يرضع
ومنهم لدى الغيد الكواعب ماثلٌ مثولَ امرئٍ خاشٍ الى الله يضرع
يضيعون اوقاتاً بسلمى وزينبٍ وليس لهم الاَّ رضا الغيد مطمع

(١) اللبانة : الحاجة (٢) المرابع : المراد بها الاوطان (٣) السماكان: نجمان احدهما يقال له السماك الرامح والآخر الاعزل . هُوى جمع : هوَّة

ومنهم باكواب المدامة فارح وإنَّ مُصاص الشرّ فيها مشعشع
يعاطونها جهراً ورائحة الردى وربّك من ارجائها تتضوّع
ومنهم انانيّون فالعجب دأبهم ومنهم بزور القول والافك مُولع
فإماً رأوا غصناً نضيراً يطولهم على صدرهم حقداً عليهِ فقطّعوا
فهل بعد هذاك الونى من حماسة تُحطّم اقفاصاً بها العقل مودع
و«هل من رقيّ» للعلى وتقدُّمٍ الى المجد ام سدٌّ من الجبن يمنع

* * *

فيا علماء العصر اشكو اليكمُ فهل عندكم للشكوِ يا قوم موضع
فان لم تجيبوا داعي الله للعلى (فللصبر ان لم ينفع الشكوُ) اوسع
قبعتم بعُقر الدار فانتاب قومكم نوائبُ لو صبّت على الدهرِ يهلع
وقد بلغ السيل الزُبى وهمو على شفا جُرُف هارٍ متى انهار يُصرعوا
فحسبكمُ ماحلّ في الدار حسبكم علوم ذروناها ومجد مضيّع
خذوا بيديْ هذي الضعيفة تُنصروا فقد أوشكت ان تشرب الكأس فاهرعوا
ومدّوا بضبعيها أنيفوا بها على يفاع الهدى علّ (ابن فهلل) يقشع[1]
فهل من رشيد فيكم لا يهوله عذول ولو ان الملامة (مدفع)
فينهض بالاسلام والشرق نهضةً تزعزع اركان الجمود فتُقلع[2]
يرنُّ صداها في مدى كل بلدة فيحمدنا من لا يزال يقرع
يبين طريق الرشد للدين والدُّنا لعلّ منار الفتح في الناس يلمع[3]
ويكسر اغلال العقول بأيّدٍ فيبدو الهدى من بعد أن كان يقبع[4]
والا فأفواه العُداة فواغرٌ وحاجتنا منكم تكابيرُ اربع

(١) مد بضبعيه: اسعفه واعانه · اناف به على يفاع الامر: اوقفه عليه ابن فهلل: الباطل ، يقال: الضلال ابن فهلل (٢) يقول فلاسفة الغرب: لانهوض للشرق الا بنهوض المسلمين (٣) الدُّنا الدنيا (٤) الايْد: القوة · يقبع: يختفي

حديث

هاشم بن يحيى

او

شقاء الشبان

بقالب رواية خيالية اخلاقية تهذيبية ادبية تأليف منشيء « النبراس »

التعريف بهاشم بن يحيى

كان هاشم بن يحيى شاباً لطيف المعشر حسن المحضر ، وقد برع في العلوم والآداب ، وتبحر في فنون الاخلاق والتربية والفلسفة على اختلاف اقسامها من عقلية وادبية وسياسية وطبيعية ، وكان على خلق عظيم لم يتدنس باوضار هذه المدنية الاوروبية الحديثة ، على انهُ من المبرزين في علوم اهلها ولغاتهم ، مع ان كثيراً من رفقائهِ استهوتهم الشهوات ففسقت بهم عن جادة الصواب حتى القتهم في مهواة الضلال والفجور ، فالدين بينهم رسمي والاخلاق الفاضلة لا مسمى لها عندهم . فقد اتخذوا الميسر ديدنا ، والغش والخديعة عادة ، وحسبوا الفسق والفجور وشرب الخمور من اسمى مزايا التمدن ، فكان من ذلك ما نراه من الفساد والشقاء

الا ان هاشم بن يحيى هذا لم ينحُ ما نحوا ولم يسلك ما سلكوا ، لان له ابا كريم الاخلاق حسن السيرة ، تغلب عليهِ التقوى والعمل الصالح ، وهو ميال للعلوم والمعارف غير انهُ لا نصيب له منها . فلما ترعرع ولده علمه لغته وما يحتاج اليهِ من علم الدين والاخلاق ، وعوّده علَى ذلك حتى يفع ، ثم قذف به الى المدارس العالية فدرس فيها اللغات والعلوم على اختلافها ، فكان محرزاً قصب السبق على رفقائهِ الى ان انهى دروسه ونال الشهادة المدرسية ، وكان في غضون مدة الدراسة لا يلتفت الى ما يميل اليهِ امثاله من اضاعة الوقت بما لا يجدي ، ولا ينحو نحوهم في

اعمالهم الشائنة ، بل كان الدرس والاجتهاد والاخلاق الحسنة والسيرة الصالحة هي المثال الذي احتذاه ومشى عليهِ ، وكانت هي اعظم سبب لنجاحه وفواقهِ عليهم ، وكان رفقاؤه يحسدونه على ذلك ، وكثيراً ما سوّلوا له ان ينخرط في سلكهم ويعمل باعمالهم ، فكان يقول لهم : ان دون ما تطلبون خرط القتاد او وضع الارض موضع السماء ، ويحكم ! الم تعلموا ان الخُلق الطيب والسير الصالح والاجتهاد على الدروس خير واسطة لنوال القصد وبلوغ الامنية ؟ وهكذا كان يعظهم وينصح لهم في كثير من الاوقات فلم يجد منهم اقبالاً على كلامهِ ، بل كان يجمح بهم الغرور فيصدهم عن سبيل الله ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم : ان لم تأتمروا بامري وتعوا نصحي فلسوف تندمون ولات ساعة مندم

ثم هجرهم ملياً ، فكان كلما ازداد تقدماً الى المعالي ازدادوا تأخراً الى الشرور ، فبلغ وقصروا ونال وحُرموا ، فكان ذلك العلة الكبرى لكراهتهم اياه ونفورهم عنه والحط من قدره وكرامته

وبعد خروجه من المدرسة بقي سائراً في الخطة الأُولى من الفضيلة والعفاف والدين وتلقي العلوم وبثها والنصح للنشء والشبان بان يقتفوا اثر الفضائل ويسلكوا مناهج السداد في الاقوال والافعال ، فكان منهم من هدى ومنهم من حقت عليهِ الضلالة — وهو عالم بكثير من الادواء التي عرت الاجتماع وبدوائها ، فكان يذكر ويحذّر ويُنذر فالتف حوله عصابة ممن هداهم الله وهم من خيار القوم ، فحسده كثير من اترابهِ وأنحوا عليهِ باللائمة في كثير من اعماله ، فتركهم وذهب مغاضباً. وقد غاب عنهم بضعة اشهر

وكان هاشم بن يحيى يحدث عن نفسهُ فيقول : اني من اسرة كريمة المحتد ، شريفة المنبت ، غنية بمالها ، شامخة بجاهها ، غير انها بعيدة عن العلوم والمعارف ميالة للمباهاة والكبرياء تنكر كل معروف وتألف كل منكور ، لم تضرب في المكارم بسهم ،

ولم تفز منها بقسم ، قد فتّ في عضدها الميل الى الاسراف والتبذير ، واستولى عليها حب البطر ، فلم تنفع فيها العبر ، ولم يفدها التذكير ، حتى اشرف بها الجهل على يفاع البوار ، وكاد يلقي بها في مهاوي الخذلان ، وجمح بها شموس الغرور بالمال والجاه فلم تستطع ان تقوّم من زيغه ، اذ لم يكن فيها من يميل الى الخير والعلم الا والدي ، فكنت اقول في نفسي : لو قيّض الله لهذه الاسرة ومن على شاكلتها من يكسر قيود الجهل عن عقولها ، ويحلّ عقال الاوهام عن قوائم البابها ، ويرفع تلك الاستار التي منعتها عن ادراك الحقائق ومعرفة صواب الامر ، فيُقام حينئذ من نفوسها ذلك المائل ، وتجتثّ من قلوبها جذور الباطل ، كيلا يقضي الجهل على نسيس حياتها ، ويذهب البطل بذماء الامل فيها . فكنت أبلي الليالي متفكراً بهذا الامر المهم وأُخلق الانهر حاثاً مطايا الافكار لتجول في واسع المعقولات عسى ان تعثر على دواء شافٍ لعضال هذه الامراض ، فلم اظفر من ذلك بنائل ، ولم احصل على طائل ، فازداد لذلك همي ، وكثر بثي وحزني

مقدمة الحديث

قال راوي الحديث : ان هاشم بن يحيى صديق لي وكان قد مضت عليّ اشهر ولم أره ، فبينا كنت في مرج فرشت ارضه بالنباتات التي تروق الناظر ، وتبهج الخاطر ، قد اخترقت فسيح ارجائهِ الانهار ، ولها خرير الذّ من نقر الزان ، واوقع في السمع من وقع الريشة على اوتار العود ، وعلى ضفافها الاشجار الباسقات تكاد تناطح السحاب ، وحفيف اغصانها كانهُ اصوات الامواج وقد لعبت فيها الرياح ، وفوقها الطيور على اختلاف اشكالها وتباين انواعها ، تغرد بالحان مطربة وتسجيعات منعشة . وكان حولي عصبة من اصحابي فاخذنا باطراف الاحاديث بيننا الى ان ذكرنا موسى بن هاشم وحاله ومنشأه ، ثم عجبنا لانهُ ترك الناس واعتزل حيث لا يعلم احد

وبينما نحن على تلك الحال اذ لاحت مني التفاتة فاذا شبح بعيد ، ثم رأيتهُ

يسير الهوينا ، ويمشي على الارض هونا ، فلما دنا منا اذا هو هاشم بن يحيى الصاحب الصادق،فسلَّم فرددنا عليهِ سلامه،واعظمنا مقامه،فلما استقر به الجلوس ابتدرته بالكلام وقلت له : اقد طال احتجابك عنا واننا لفي شوق اليك عظيم . فقال : قصتي لديكم معلومة ، وشرحها اشهر من نار على علم ، فدعوني وشأني . فقالوا نسألك بمن علم آدم الاسماء ان تخبرنا خبرك بعد احتجابك . فقال : راعوني سمعكم واعيروني افئدتكم حتى اقصها عليكم ، فان لقصتي هـذه شأناً عظيماً ، وان لحديثي معكم امراً ولتعلمنَّ نبأه بعـد حين . وسأُ نبئكم مما رأيت في ذلك الاحتجاب من العجب ما يحيّر الالباب ويدهش العقول ، فتعلمون من ذلك سبب شقاء الشبان وفساد اخلاقهم والسوء الذي احاط بالعائلة والداء الذي اودى بالناشئين او كاد ، الا ان يتغمدهم الله برحمتهِ فيرسل لهم حكيما يبين موضع الداء ، فيصف له ناجع الدواء ، فيكون اقوى معين على رفعهم من وهدة الانحطاط ، ونشلهم من مخالب الانحلال الاخلاقي والمادي . فقد اتى على التربية العائلية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً بما أُحدث فيها من سوء التصرف وفساد التربية ، فلا مرشد يهديها ، ولا نصيح ينصح لها ، حتى تفاقم الخطب وعظم الامر ، واتسع الخرق على الراقع

عرّج بركبك يوماً على منازل اكثر العائلات فترى المضحك المبكي ، وتودّ لو ان بينك وبين ما رأيت امداً بعيداً . وسأَشرح لكم ذلك باوفى بيان واغزر ايضاح ، حتى كانكم تشاهدون ما اقول ، بل يكون الرائي والسامع سواء في العلم ، بـل ربما كان السامع اعلم بما أُبرزه من المخبآت ، وأُظهره من المكنونات ، وقد عرفت الاسرار فازلت عنها الاستار . ولكن انصرفوا بنا الآن لنرى الاهل والاصدقاء فقد طال غيابي عنهم . وموعدنا نهار غد في هذا المرج الزاهر

قال راوي الحديث : ثم انصرفنا على ان نعود في اليوم الذي يليهِ

« انتظر العدد الآتي »